الفنان التشكيلي المغربي مصطفى بوجمعاوي: الشاي كمادة للتشكيل الجمالي..

ابراهيم الحيسن*

■ مصطفى بوجمعاوي ـ المولود عام 1952 بأحفير/وجدة ـ واحد من أجود الفنانين التشكيليين المغاربة المعاصرين الذين أثروا الساحة التشكيلية الوطنية والعربية بكثير من التوقد والابداع.. في رصيده العديد من المعارض الوطنية والدولية، فضلا عن تكوينه الأكاديمي المتعدد بالمعهد الوطني للفنون الجميلة بتطوان والأكاديمية الملكية للفنون الجميلة ببروكسيل والمدرسة الوطنية العليا للفنون الجميلة بباريس. يشتغل راهنا أستاذا مؤطرا في شعبة الفنون التشكيلية بالمركز التربوي الجهوي بالرباط.

1. كؤوس حياتي:

بعد المرحلة الأكاديمية، التي تعد عتبة أساسية في المسار الفني الذي نحته الفنان بوجمعاوي وما رافقها من انفتاح بصري على تجارب تشكيلية عالمية رائدة في سياق مراكمة الخبرة، وبعد تجربة الحدائق الخيالية (أو المونوكرونيات الخضراء: 1985 ـ 1988) التي تشهد على مرحلة بيئية جافة عاشها الفنان بشرق المغرب (مسقط رأسه)، ستنبثق فكرة الاشتغال على الكأس كتيمة جمالية ستلازم أبحاثه الصباغية لاحقا. وحين تراكمت لديه سلسلة أعمال ملونة على هذا المستوى، أطلق عليها اسم: «كؤوس حياتي»، وهي مجموعة من القطع التشكيلية المتسمة بادماج الكأس كشيء / Objet تم عرضها لأول مرة سنة 1990 برواق باب الكبير بالرباط.

وامتدادا لهذه المغامرة الجمالية الجديدة، قدم الفنان بوجمعاوي صيغة أخرى لعرض كؤوس حياته حية ضمن تجربة «روح الأمكنة» ـ Esprit Lieux التي احتضنها المعهد الثقافي الفرنسي بالرباط في شباط (فبراير) 1997. فهذه الكؤوس (الشفافة) مثلت قطعا فنية (50 X 50سم) برزت ضمن ارساءات تشكيلية، أو الرسم بالأشياء، تم عرضها كشكل من أشكال الاشتغال على «الهنا» و«الهناك» التي تروم تكسير نمطية المشاهدة لدى المتلقي المغربي، أو خلق نوع من التدخل الفرجوي في الفضاء بتعبير الفنان..

أليست هذه الكؤوس دليلا على «أننا دائما في مكان ما.. ومن مكان ما» كما كتبت الناقدة رين برات ـ R. Prat، مقدمة الدليل على ان كل المفردات والأشياء الجمالية والتعبيرية التي يوظفها الفنان بوجمعاوي في ابداعاته التشكيلية تحمل في داخلها (وخارجها) هوية زمانية ومكانية تكشف عن كثرة رحلاته وتنقلاته، وتمنح العمل الفني لديه أبعادا مرئية كثيرة ومتنوعة.

وبلجوئه الى توظيف الكؤوس وأشياء أخرى استعمالاتية مستمدة من الواقع (الكأس، الحقيبة، مجسم للكرة الأرضية، الجريدة..)، واعادة صياغتها وتشكيلها وفق توليفة ابداعية حداثية موحدة في بنائها المفاهيمي والذهنوي (لكنها متنوعة من الداخل)، يكون الفنان بوجمعاوي قد نجح كثيرا في منح المتلقي جواز سفر افتراضي ينطلق عبر خرائط جغرافية وهمية تتداخل فيها المسافات والأزمنة بمعناهما الفضائي والتاريخي..

الجريدة كمكون للوحة

عقب ذلك، سينخرط الفنان مصطفى بوجمعاوي، بشكل ابداعي قوي، في احتراف التعبير الصباغي على الورق، اذ بدأ تألقه واضحا منذ تجربة الاشتغال على الجريدة كمكون للوحة.

في هذه التجربة المسماة بتقنية البيكتوجورنال، حلت الجريدة محل القماشة واستبدلت النصوص بكتابات تشكيلية تعتمد اللون الاصطلاحي الخاضع لضربات فرشاة دقيقة ومتجاورة، وكذلك الرسوم الخطية المختزلة التي تحيل على عالم السفر عبر قافلة ابل مستعارة من احدى منمنمات الواسطي التي يعود تاريخها الى القرن الثالث عشر الميلادي/بغداد 634هـ (متحف بوردو ـ فرنسا 1993 ورواق ملتم بالبيضاء 1994)..

هذا الافتتان بعالم الترحال والسفر، يرسم في عمقه الحس البدوي الذي يميز الفنان بوجمعاوي وتمسكه بثقافته الصحراوية وعفويته وعمق تأملاته، وهو ما جسده أثناء اقامته بحي الفنانين بباريس عام 1995، حيث أنجز «كراسة تجوال»، تم عرضها في السنة الموالية بالمعاهد الثقافية الفرنسية بكل من البيضاء والرباط وفاس.

يقول الفنان متحدثا: «عندما أنتقل الى مكان معين، أجد لي نفسا جديدا وأكون في حالة من حالات الرضى التي تتفجر فيها الأفكار ويلهمني ذلك وكأنني رحالة سعيد..

الابداع يقودني الى غير مكان، أي الى نهاية وحدود العالم الذي نحن فيه، وأبدأ حياة أخرى في سياق جديد وقارة جديدة.. وأسير نحو البداية، وألمس استحالة العالم الذي يحتضننا، كما نواصل فيه وجودنا وأذهب نحو التنوع ونحو فن الآخر والمجنون والمتصوف والساذج والبدائي.. ان الروح، لكي تنمي المعارف والعلاقات البشرية، ليس لها مكان محدد، كما ليس للفن وطن، الابداع ليس أيضا حدثا منتظما، مستقلا.. انه يتجلى دائما بآثار السياق، ولم يعد من الممكن أبدا ان يعتبر الانسان والمحيط كنهين مغلقين كلاهما مخالف للآخر.. وتتوطد بينهما علاقة تهيكلها التأثيرات..

لكل عمل حالي جذوره.. فلا يتولد شيء من لا شيء.. في عملي توجد دائما تقاليد تتوزعني، هي التقاليد المغربية التي أحياها والتقاليد الأجنبية التي أعبرها والآخر المتخيل.. ان هناك ذهابا وايابا بين هنا وهناك والى غير مكان.. فتفكيرنا اليوم هو تفكير الرحالة المتنقل، والحدود الجغرافية لم يعد لها وجود والأفكار تنتشر بوتيرة متسارعة. وأنا أرسم هنا في مكان ما والضوء يسري والنظر لا يتوقف»...

فهذه التجربة الجديدة في المسار الصباغي للفنان بوجمعاوي، تمتد لأبحاثه الجمالية السابقة، وقد عرضت في نيسان (أبريل) 1996 برواق برنانوس بباريس.

فهي تميزت بتحول جديد دشنه الفنان، اذ يقوم على ثنائية الفيزيائي والفكري لدرجة أصبحت فيه العلامات الأيقونية التي كان يوظفها بشكل متكرر تنطفئ تدريجيا داخل الشفوف اللونية التي أمسى يستعملها وفقا لسنائده الورقية والزجاجية الصلبة والشفافة في آن.. (ان الحركة الفيزيائية والتفكير الذي أستوحيه من أعمالي التشكيلية الجديدة، ليمثلان التصور الجمالي الذي أتساءل انطلاقا منه. اني أتناول التصوير كما الرسم على ورق حر طائر، وذلك بالتعامل مع علاقة الصلابة بالخفة، حيث تنطبع أشكال ونماذج هي مجرد تنفس للقفز.. ـ الكلام للفنان بوجمعاوي)..

ان اللوحات التي نفذها الفنان بوجمعاوي، في هذه التجربة، ظهرت بداية في شكل سلسلة ورقيات متقايسة الأحجام ومتقاربة التيمات، لكنها ظلت، في الآن نفسه، تقوم على خلق مجموعة من التنويعات التعبيرية (التركيب الخطي، الطي، التغرية والكولاج، التقطير الصباغي..)، الشيء الذي حولها الى قطع تشكيلية منفتحة على توليفات صباغية جديدة موسومة بايقاعات لونية متنوعة.. بل مكسوة بنوتات طيفية مدروسة في هيئة نقاط لونية مكثفة ومتجاورة تبعا لضربات فرشاة مقدرة ومكتنزة..

ولا شك في ان المتتبع لهذه الابداعات الصباغية، ستشد ابصاره تلك الايماءات التصويرية والتشكيلات التنقيطية الملونة والخيالات الخطية المشخصة المتراكبة بأسلوب التداخل والامتزاج الذي يشي بالحركة (حالات وحركات الجمال/القافلة)، فضلا عن الألوان التي يختارها وفق تقاربها الضوئي، حيث تتحرك وتتفاعل في ما بينها على مسطح اللوحة، لتسهم في بناء معزوفة لونية بتوازن كبير ـ وانتشار مكثف ومتراص. هكذا تتحول هذه الأعمال الى «بكتغرافيا» ناطقة بأصوات لونية موسيقية تدعو القارئ الى محاورتها وتكليمها لأنها مفعمة بخاصية انطباعية في صورة حداثية متطورة على المستوى الزمني..

في هذه الابداعات، غنائية خاصة ترى وتسمع على نبرات عالية من الألوان التي يشع فيها المعنى والرمز بين كثافة وشفافية العناصر والمفردات التعبيرية داخل مساحات حرة، حيث تطل العين على خرائط مساحية.. ومساحات خرائطية للأزمنة والأمكنة.. خرائط ومساحات الذاكرة التي تأخذ حدودها في فضاء تعبيري رمزي محموم باللون، وتخترقه –أحيانا– بعض النصوص الايضاحية المقروءة، مما يعطي للقطع الصباغية أبعادا مرئية كثيرة ومتعددة، لكن بهوية جمالية موحدة..

وبعد فترة ابداعية أخرى اتسمت بكثير من البحث والتأمل، سيعاود الفنان مصطفى بوجمعاوي فكرة الاشتغال المفاهيمي ـ conceptuel على الشاي، لكن هذه المرة كمادة ملموسة يتم ادماجها في بناء القطعة التشكيلية بألوانها وملمسها ورائحتها الطقوسية الجميلة.. تجربة ابداعية حداثية ارتكزت على فكرة الحدث وادماج الفضاء في التعبير التشكيلي.

وقد قدم الفنان في هذا السياق مجموعة من الارساءات الجمالية التي تم عرضها بداية بالشقة 22 بالرباط (شارع محمد الخامس)، ثم عقب ذلك بمتحف مراكش خلال عام 2004 باضافة سيريغرافيات متنوعة تعكس المستوى الابداعي الراقي لهذا الفنان الطلائعي.. ولنا عودة لمقاربة هذه التجربة الجمالية المتفردة في مقال قادم بحول الله..

* ناقد تشكيلي من المغرب.

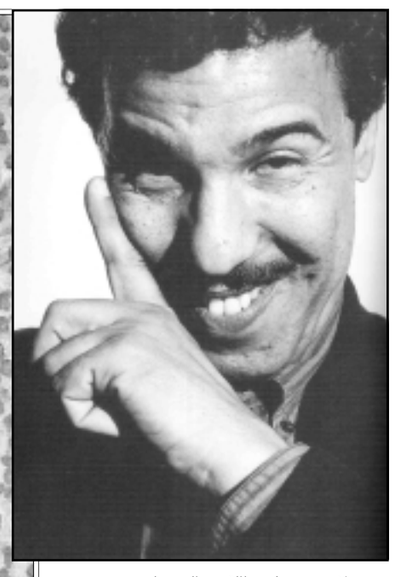

مصطفى بوجمعاوي (القدس العربي)

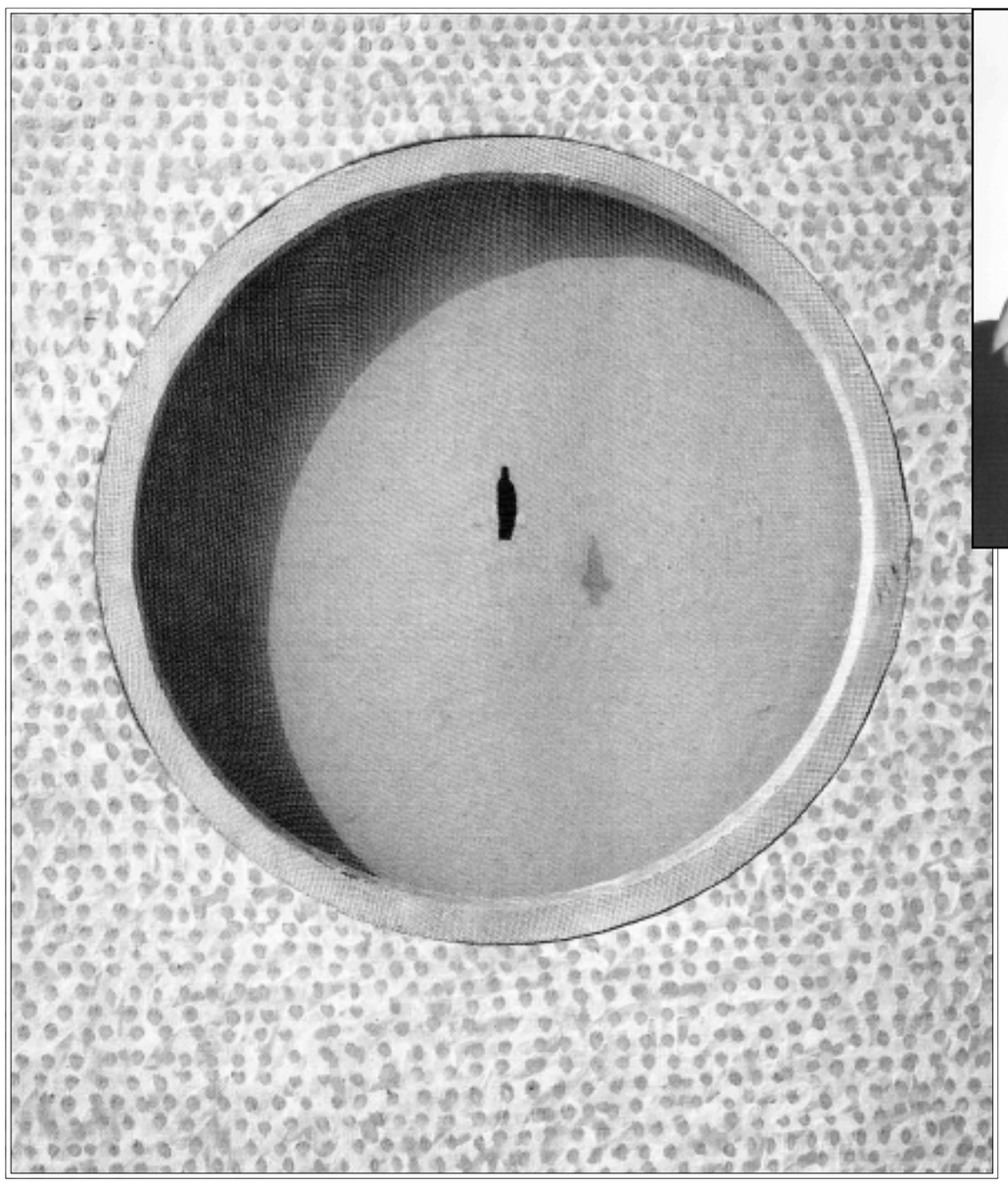

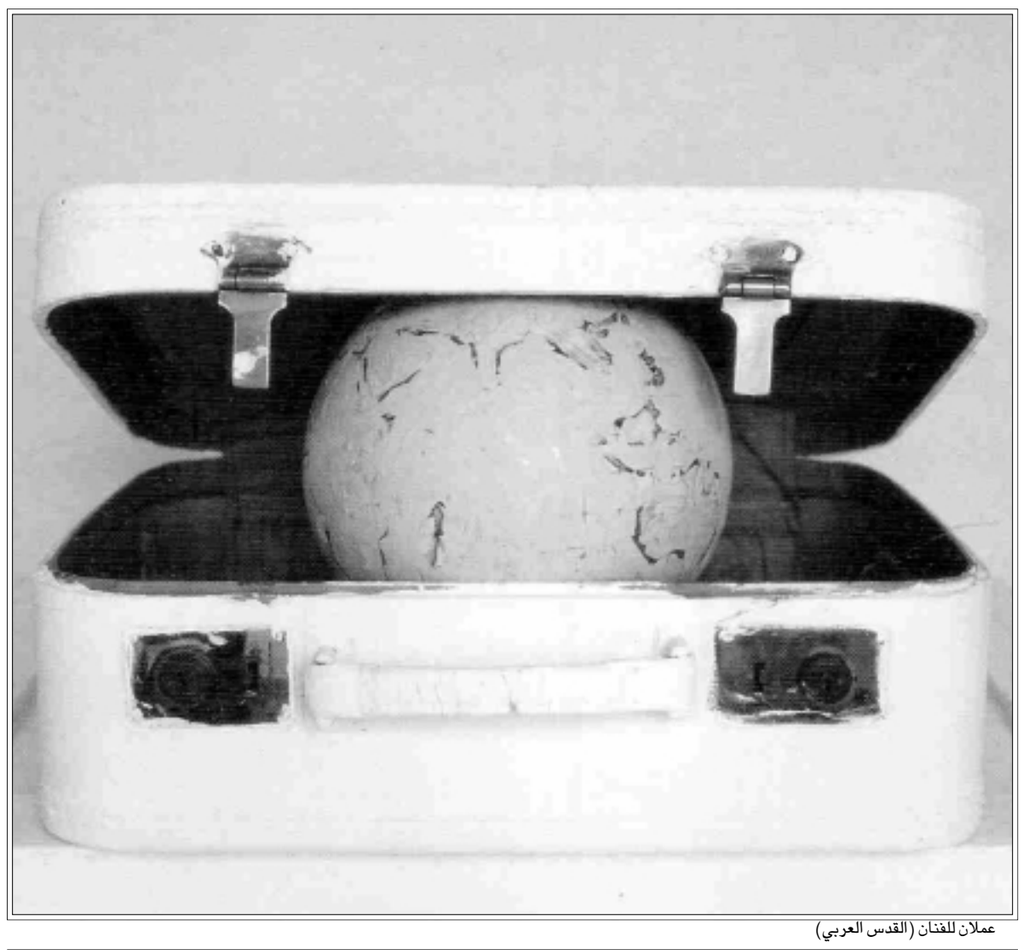

عملان للفنان (القدس العربي)

تداعيات

الاختطافات.. العار والجريمة

د. عبد العزيز المقالح

■ في خريف العام الماضي، وفي اطار احتفال الجمهورية الالمانية بشاعرها ومفكرها الكبير فريدريش شيللر، استضافت السفارة الالمانية في صنعاء فرقة مسرحية تكونت من هواة يمانيين وآخرين من الالمان للقيام بتمثيل احدى المسرحيات الشهيرة للشاعر والمفكر المحتفى به عالميا طوال عام كامل لمناسبة مرور مائتي عام على رحيله. وكان مخرج المسرحية المانيا محترفا. عنوان المسرحية «قطاع الطرق» وموضوعها الاختطاف وردود افعاله الشنيعة في حياة الامم. وبعد ان قطعت الفرقة شوطا في التمثيل على مسرح مفتوح في حديقة الملحقية الثقافية بدأت اتساءل هل يحمل هذا العمل الفني القديم الذي يرجع الى اوائل القرن التاسع عشر رسالة المانية غير مباشرة الى اليمن؟ وهي رسالة متفائلة جدا لانها تكاد تقول بصريح العبارة لا تخافوا او بالاحرى لا تعتقدوا ان حالات الاختطاف في بلادكم ستدوم فقد عانت المانيا ذاتها من حالات مماثلة ومع ذلك تجاوزتها واصبحت بالنسبة لها حكايات اشبه بالاساطير القديمة، وهذا ما سوف يؤول اليه حال الاختطاف في بلدكم السعيدة.

وما من شك في ان حوادث الاختطاف التي تكررت في بلادنا والتي نامت لفترة قصيرة ثم استيقظت مجددا قد شكلت عارا وطنيا معاصرا واساءة بالغة الخطورة على اليمن شعبا وحكومة وتاريخا وثقافة، فاليمنيون عبر العصور ـ وقبل ان ينجح الاسلام في تهذيب السلوك العربي ووضع حد للانحرافات كانوا ـ شأن بقية العرب الشرفاء العقلاء ـ يكرمون الضيف ويحترمون المرأة والطفل والرجل العجوز، وكانوا يغيثون الملهوف ويساعدون الضعيف والغريب، وهي الصفات التي كونت مكارم الاخلاق قبل الاسلام وجعلت المصطفى عليه الصلاة والسلام يقول انما بعثت لأتمم مكارم الاخلاق. فأين الخاطفون من اخلاق الاجداد ومن قيم الدين الحنيف ونهجه العلمي والعملي؟!

واعود الى المسرحية، لكي اوجز قراءتي لمضمونها من خلال ما عبرت عنه بعض مشاهدها الاصلية ـ قبل ان تبدأ «اليمننة» في اضافة الاسقاطات المحلية عليها. بطل المسرحية ثائر وناقم على اوضاع بلاده (المانيا في اواخر القرن الثامن عشر) لذلك فقد انتمى الى جماعة من قطاع الطرق تمارس الخطف والسلب انتقاما من النظام، وبعد فترة قصيرة يكتشف بطل المسرحية ان عمله وعمل جماعته المؤلفة من الخاطفين وقطاع الطرق ليس مخالفا للقانون فحسب بل هو عمل تخريبي ولا اخلاقي، وان معالجة الاخطاء ـ ان وجدت ـ لا تكون بمزيد من الاخطاء، كما ان معالجة الظلم ـ ان وجد ـ لا تكون ابدا بالظلم نفسه، وان افضل وسيلة للتعبير عن الغضب لا تكون الا عن طريق الالتزام بمبادئ الحرية والعدل والمساواة والبحث عن كل ما يضمن الامان والاستقرار والتمكين لسيادة القانون واحترام الانسان.

هكذا، وبمنطق علمي اجتماعي استطاعت المسرحية ان تدين الاختطاف وان تحول الخاطفين من لصوص وقطاع طرق ينشرون الذعر والقلق في اجزاء من البلاد الالمانية الى دعاة للحرية والعدل والانضباط. ولا ننسى ان «شيللر» كاتب المسرحية هو الذي تنبأ بأن اليمن سيقود حضارة الانسانية القادمة في يوم من الايام، وهي نبوءة ظلت تثير موجة من التساؤلات في اوساط بعض مفكري القرن العشرين، وقد رأى فيها كاتب عربي معاصر ضربا من السخرية. وبالنسبة لي فانني على يقين من انها سوف تتحقق وان هذا الشعب العظيم قادر ـ حين يتخلص من هذه المعوقات ـ على ان يكون نموذجا رائعا في التقدم وتجاوز مكونات التخلف، وتبني الحوار بين الثقافات والاجناس على صعيد العالم.

تأملات شعرية:

الشعوب التي حولنا
والشعوب البعيدة عنا
الشعوب الكبيرة في حجمها
والشعوب الصغيرة
تعلو، وتعلو
وتأخذ موقعها في زحام الكبار.
بينما نحن نهبط
نهبط
نهبط
هل من قرار؟!

افلام مصرية في المهرجان الثاني لسينما الاتحاد الاوروبي بالقاهرة

■ القاهرة ـ رويترز: بدأت امس الخميس بدار الاوبرا المصرية عروض أفلام لمخرجين مصريين من الجيل الجديد منها فيلم ابراهيم البطوطي الذي يحمل اسم «ايثاكي» ويبلغ 70 دقيقة وهو مأخوذ عن قصيدة للشاعر اليوناني قسطنطين كفافي.

وتعرض الافلام في برنامج «السينما المستقلة في مصر» ضمن المهرجان الثاني لافلام دول الاتحاد الاوروبي الذي افتتح يوم الاربعاء بدار الاوبرا المصرية بعرض الفيلم النمساوي «استدعاء هيدي لامار» لجورج ميش.

ويستمر المهرجان الذي ينظمه المركز الثقافي اليوناني والمفوضية الاوروبية بالقاهرة حتى العاشر من فبراير شباط الجاري بمشاركة أفلام من 18 دولة أوروبية وتعرض الافلام في دار الاوبرا بالقاهرة ومكتبة الاسكندرية. والافلام المعروضة تمثل النمسا وبلجيكا وقبرص وجمهورية التشيك والدنمرك وفنلندا وفرنسا وألمانيا واليونان والمجر وايطاليا وهولندا وبولندا والبرتغال وسلوفاكيا واسبانيا والسويد وبريطانيا.

وعقدت الدورة الاولى للمهرجان في فبراير شباط 2005 بمشاركة 25 فيلما من 25 دولة هي الاعضاء في الاتحاد الاوروبي ويتم اختيار الافلام بالتعاون بين ادارة المهرجان والجهات المعنية في الدول على أن يكون عرضها في المهرجان هو العرض الاول في مصر.

وقال مدير المهرجان الناقد السينمائي سمير فريد لرويترز ان المهرجان يسعى لطرح توجهات وتيارات سينمائية مختلفة وبديلة للسينما الامريكية المتاحة طوال العام للمشاهد المصري وللجماهير عموما في معظم أنحاء العالم. وأضاف أن بالمهرجان برنامجا عن التراث السينمائي في دول الاتحاد الاوروبي بعنوان «100 زائد 10» بمناسبة مرور 110 أعوام على اختراع السينما ويشمل الافلام التي صورها مخترع السينما لوميير في مصر عام 1896 والافلام السينمائية الاولى بالالوان.

وأشار الى أن برنامج «السينما المستقلة في مصر» يعرض به 42 فيلما روائيا قصيرا وطويلا أنتجت بين عامي 1997 و2006 منها «بيت من لحم» لرامي عبد الجبار و«غرب شرق» لرينا خوري و«قطط بلدي» لتامر البستاني و«الجنيه الخامس» لاحمد خالد و«انت عارف ليه» لسلمى الطرزي و«الاسانسير» لهديل نظمي و«نشرة أخبار مع فاصل اعلاني» لالفت عثمان و«هو ده الفيلم السياسي» لحسن خان. كما ينظم المهرجان مائدة مستديرة عن انتاج الافلام قليلة التكاليف من واقع تجربة يونانية يقدمها ايفرس بابانيكولاس.

وتصدر بمناسبة المهرجان كتب منها «السينما المستقلة في مصر» الذي أعده أحمد حسونة ومحمد الاسيوطي و«محاورات مع أعلام من السينما الاوروبية» الذي ترجمه محمد هاشم عبد السلام وكتابان لفريد هما «100 زائد 10 .. التراث السينمائي في دول الاتحاد الاوروبي» و«مختارات من موسوعة السينما الاوروبية» التي صدرت العام الماضي في أربعة أجزاء هي «أعلام الاخراج السينمائي» و«التاريخ والتيارات والانواع» و«الاسواق والشركات والاستوديوهات» و«المؤسسات السينمائية».

أربع مدن ـ أربع نساء

زياد خداش*

أريحا

إمرأة من رمل، تمسك بها، فتتسرب فجأة بين الأصابع. تراها من بعيد، بانتظارك على حافة وعد، حين تقترب تصطدم عيناك المتعبتان بصخور الجبال الصلدة، هي المرأة الأسطورة التي تقول لك: تعال أدربك على صداقة المرتفعات. حين تذهب، تسقط عن الجبل وتتناثر وحدك في الوادي، فتقول لك: التدرب على السقوط ضروري للتدرب على الطيران.

تصدقها، فتصعد أشلاؤك الجبل، على طرف الشرفة المعلقة تتدلى أوهامك نحو الأسفل، كما أقدامك ،كما بلاهتك، تسقط مرة أخرى، تسمع صوتها آتياً من كل مكان: صداقة الوادي ضرورية قبل صداقة المرتفعات.

امرأة من انتظار، تنتظر كل البشر؟ خفافا ومسحورين يأتون، ولا تكون هناك مع أنها الهناك نفسه.

بيت لحم

امرأة تحب الله وتحب جسدها في آن، تبكي وهي تصلي، تبكي وهي ترقص، امرأة من أصياف الصهيل الهائم، من شتاءات النصيحة الناضجة، ليلها من بخور ومداخل ـ نهارها من شعراء ضالين في جحيم فكرة الجسد والروح، تمسك يدك بهدوء هائل العذوبة أنت الغريب الهارب من فجاجة المدن الأخرى. تأخذك إلى وجهها القديم. تنصحك بالاسترخاء فوق مصطبة نهدها المقيم في الضلال المؤمن. تخاف أنت وترفض، وتبتسم هي وتواصل قيادتك في شعوب خصرها وبطنها وقبائل كتفها. تهمس لك: أقم هنا إن أحببت وتشير إلى إبطها البرتقالي. تحاول الفرار من يدها. فتهمس لك مرة أخرى: أو أقم هنا إن أحببت، وتشير إلى معبدي عينيها، تحاول الفرار مرة أخرى. وفجاة تكتشف انك تحولت الى حارس.

عكا

امرأة متقاعدة، لكنها حية جداً ولا تموت. تجلس على كرسي قش فوق بيت عتيق بجانب البحر تماماً تراقب البشر السعداء والقوارب والبحارة المجمدين على شكل صخور، حين يغرق طفل فيها، تستدعي كل براءتها القديمة، تلفظه نحو الحياة أو الموت بمودة حمامة، وقسوة طبيب. تحتفظ في جيوبها بكل رسائل العشاق الميتين. تضحك بصوت عال حين تتذكر رسالة كتبها آخر المنتحرين فيها: لست منتحراً ،لكني ذاهب إلى سوبر ماركت آخر، امرأة خبيرة ـ بلا تجاعيد. حية جداً ولا تموت سمراء تجلس على كرسي قش.

القدس

امرأة مخذولة، مرمية في ضجيج الصمت. العتبات صديقتها والأزقة وطن تنهداتها، تعبت من الانتظار، الخيول كلها انقرضت ولا فرسان يأتون، تفرح حين يلعب أمامها الأطفال، فالاطفال فراشات روحها المنهكة ، تحزن حين يأتي الليل ـ فالليل كاشف دمعها. امرأة من أقراط مكسورة ـ ومتاحف منتهكة.

امرأة من تاريخ مضطرب وماكر وسائحين بلهاء. الكل يحبها الكل يتركها. امرأة من مصاطب مهجورة، وبنات مسافرات، امرأة الأصداء صدى يتلوه صدى يتداخل في صدى، صدى قبلات العشاق في الأزقة والمعابد والبيوت وصدى الأقدام على الأرض الملساء، صدى الأجراس الملولة، صدى البساطير على العشب القتيل صدى حيرة الرهبان المعزولين منذ العام. صدى الخيول التي لا تصل؟ صدى خيبتي العاطفية الأولى في الطريق المترب بجانب المقبرة، تماما بجانب المقبرة.

* كاتب من فلسطين
.zkhadash@yahoo.com